



ثلاث رسائل

بخط ياقوت الحموي الرومي

للأديب الفارسي عباس اقبال

ترجمها الدكتور عبد الوهاب عزام

عند كاتب هذا المقال مجموعة صغيرة في ثمان وأربعين ورقة سفراء ، طول كل ورقة ١٥ سنتيمتراً ، عرضها ١٠ ، وهي بخط نسخ جميل ، كتبها كلها الأديب العالم الكبير شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي ، المؤلف ذائع الصيت صاحب معجم البلدان ، ومعجم الأدياب ، المولود سنة ٥٧٥ والتوفي سنة ٦٢٦

في هذه المجموعة أربع رسائل صغيرة كتبها ياقوت نفسه في أوقات مختلفة ، ثم جمعها في مجلد واحد . وهي كما يأتي :

١ - كتاب الفصيح : لأبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب الشيباني (٢٠٠ - ٢٩١) وهو ٢٨ ورقة . وقد طبع مرات
٢ - كتاب تمام الفصيح : لأبي الحسين أحمد بن فارس ابن زكريا اللغوي التوفي سنة ٣٩٥ . وفيه ١١ ورقة

٣ و ٤ - كتابان لأبي الحسن علي بن عيسى الرماني الوراثي (٢٧٦ - ٣٨٤) الأول منهما ، لسوء الحظ ، سقط من المجموعة ، وعي عنوانه من الغلاف . والكتاب الثاني كتاب الحروف . وقد سقط أوله ، وبقي معظمه في ٩ ورقات

ولا شبهة في صحة نسبة هذه النسخة الى ياقوت الحموي وأصالتها . فالخط والورق والتاريخ يؤيدونها . ثم ياقوت نفسه يكتب هذا خمس مرات بالخط الذي كتبت به للنسخة نفسها . ولدينا شواهد تاريخية أخرى يخصصها فيما يلي :

على غلاف هذه المجموعة ، كما يظهر من الصورة (١) هذه الكلمات : كتاب الفصيح

تأليف أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب

وكتاب تمام الفصيح

تأليف أبي الحسين أحمد بن فارس

وفيه كتاب وكتاب الحروف

كلامها عن علي بن عيسى بن علي الرماني

وفي الحاشية اليسرى إزاء اسم كتاب الرماني « ملك لكتابه ياقوت الحموي عفا الله عنه » ثم في أسفل صفحة الغلاف كتب ياقوت نفسه في سطور رأسية أسماء رواة كتاب الفصيح الى زمانه وبين كيف نسخ هذه النسخة من الفصيح وصححها . ونحن نقل هنا بعض ما كتبه :

..... وصاحب هذا الكتاب عبد الله الفقير اليه ياقوت ابن عبد الله الرومي الحموي ، بعد أن طرأ عليه هذا نسخة السباع وكتب ما كان فيها من وما كان في هذه النسخة من الزوائد مخالفاً للأصل ضرب عليه بالحرمة . وذلك بأعلى
الآخر سنة عشرين وستائة . وهذا خط صاحب الكتاب ياقوت الحموي عفا الله عنه

وفي آخر نسخة كتاب الفصيح : « منقول من خط أبي الحسين علي بن عبيد الله السلمي اللغوي بحواشيه حرفاً حرفاً ، وكان على وجه نسخه ، وفي الحاشية اليمنى بجانب هذه العبارة كتب بخط أحمر : « قويل بالأصل المنقول عنه ؛ فصح والحمد لله رب العالمين ، وقويل ثانياً وصح »

وكتب في هذه النسخة ، كما يقول ياقوت في حاشية الغلاف : لاختلافات النسخ فوق الكلمات عداد أحمر ، وزيدت في الحواشي زيادات وتصحيحات . وهذا برهان بمقابلة النسخة بنسخ أخرى (١) أرسل الكاتب مع المقال صوراً من الكتاب لم يجسر نشرها في الرسالة

قارس ، ووقعت في يده بمرو الشاهجان ، ونقل المبارة التي ذكرها أحمد بن قارس في آخر نسخته ونقلناها هنا ، وهذا من أقوى الأدلة على صحة نسبة النسخة الحاضرة إلى ياقوت ، وهذه عبارته في معجم البلدان « ووقع لي بمرو كتاب اسمه تمام الفصيح لابن قارس وبخطه . وقد كتب في آخره : وكتب أحمد بن قارس بن زكريا بخطه في شهر رمضان سنة ٣٩٥ (كذا بالرقم في النسخة المطبوعة في لايبسيك) بالمحمدية فبترت دهرأ أسأل عن موضع بنواحي الجبال يعرف بهذا الاسم فلم أجده لأن ابن قارس في هذه الأيام هناك كان حياً حتى وقعت على كتاب محمد بن أحمد بن الفقيه فذكر فيه . قال جمفر بن محمد الرازي : لما قدم المهدي الرزي في خلافة المنصور بني مدينة الرزي التي بها الناس اليوم ، وجعل حولها خندقاً ، وبني فيها مسجداً جامعاً ، وجري ذلك على يد عمار ابن الخصب . وكتب اسمه على سائطها ، وتم عملها سنة ١٥٨ . وجعل لها فصيلاً يطيف به فارتين آخر ، وسماها المحمدية . فأهل الرزي يدعون المدينة الداخلة للمدينة ، ويسمون الفصيل المدينة الخارجة ، والحصن المعروف بالزبيدية في داخل المدينة بالمحمدية » له بنية « عبد الوهاب هزام »



وليس في الرسالة تاريخ نسخها ، ولكن يؤخذ من حاشية التلاف المكتوبة في ربيع الآخر سنة ٦٢٠ : أن مقابلة هذه النسخة بنسخة أخرى كان في هذا التاريخ ، وقد حمل ياقوت هذه المجموعة معه حين فر من متوحشي التتار بين سنتي ٦١٧ ، ٦١٨ . وكان من بركة هذا الفرار أن بقيت لنا هذه النسخة ولم يصبها من أيدي هذه الجماعة الوحشية ما أصاب نقائس الكتاب فيها وراء النهر وخوارزم وخراسان

وقد كتب على ظهر الورقة الأولى من كتاب تمام الفصيح لأحمد بن قارس : « كتاب تعلم الفصيح تأليف الامام أبي الحسين أحمد بن قارس بن زكريا رحمه الله . ومن خطه نقل » ، وفي أول الكتاب « نقلت من خط أبي الحسين أحمد بن قارس مصنف الكتاب » وتنتهي النسخة بهذه العبارة :

« وكتب أحمد بن قارس بن زكريا بخطه في شهر رمضان سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة بالمحمدية . قال ناسخ هذه النسخة هذا جميعه صورة خط الامام أبي الحسين بن قارس رحمه الله . فأما أنا فاني فرغت من نسخ هذه النسخة بكرة الأحد سابع ربيع الآخر سنة ست عشرة وستائة بمرو الشاهجان حامداً لله ومصلياً على نبيه المصطفى محمد وآله وصحبه الكرام ، وكتب ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي »

وكتب في الحاشية مقابل كلمة المحمدية : « قلت المحمدية محلة بالرزي من بين السور البراني والسور الداخلة » ، وهذه العبارة التي كتبها ياقوت في آخر نسخة تعلم الفصيح عبارة على تصريحه بأن هذه النسخة خط يده ، وأنه ختمها يوم الأحد سابع ربيع الآخر سنة ٦١٦ في صمو الشاهجان ، ونقلها من نسخة المصنف التي كتبها بخطه في رمضان سنة ٣٩٣ في المحمدية ترينا تدقيق ياقوت في ضبط أسماء البلدان . فان هذا العالم الكبير القوي أمضى شطراً من عمره في تحقيق أسماء البلاد وتعيين مواقعها ، وجمع المعلومات التي مكنته من تأليف كتابه البديع الخالص معجم البلدان رأى في نسخة اسم محلة غير مشهورة فاهتم بتعيين موقعها في حاشية نسخته حتى أبان عنه ، وكان من قبل خفياً عليه نفسه كما يتبين مما يأتي :

وقد ذكر ياقوت في معجم البلدان ، بمناسبة كلمة المحمدية ، نسخة كتاب تمام الفصيح التي كتبها بخطه المصنف أحمد بن

مطبوعات دار الكتب المصرية للأستاذ محمد بك كرد علي

أصدرت دار الكتب المصرية الجزء الخامس من « النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة » لجمال الدين أبي الحسن يوسف ابن تفرى بردى الأتابكي في ٤٦٧ صفحة كبيرة ، مشفوعاً بفهرس الولاية الذين تولوا مصر من سنة ٤٢٨ هـ إلى سنة ٥٦٦ هـ ، وفهرس الأعلام ، وفهرس الأمم والقبائل والبطون والمشائر والأرهاب ، وفهرس أسماء البلاد والجبال والأودية والأنهار وغير ذلك ، وفهرس وفاء النيل من سنة ٤٢٨ إلى ٥٦٦ هـ وهي الأعوام التي استغرق هذا الجزء الكلام عليها . وأصدرت أيضاً الجزء الثاني من « الجامع لأحكام القرآن » لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبي الأندلسي المتوفى عنية ابن خنيسيب في الصميد الأدي سنة ٦١٧ هـ ، وهو تفسير جليل « أسقط منه القصص والتواريخ ، وأثبت عوضها أحكام القرآن ، واستنباط الأدلة ، وذكر القراءات والاعراب والناسخ والمنسوخ » . وقد جاء الجزء الأول في ٣٩٦ صفحة والثاني في ٤٣٦ ، مصححاً معرفة الأستاذ السيد محمد البيلاوي مراقب إحياء الآداب العربية

والدار آخذة في اتمام طبع كتاب « الأغاني » لأبي الفرج الأصبهاني ، وقد أجزت إلى الآن جزأه السابع . و « نهاية الأرب في فنون الأدب » للنويري ، وقد أتمت طبع السفر الحادي عشر منه . وانتهت منذ مدة من طبع « صبح الأعشى » للفلقشندي في أربعة عشر مجلداً ، ولا يتقصه إلا الفهارس التي تحلى بها كل من النجوم الزاهرة والأغاني ونهاية الأرب . وأتمت طبع « عيون الأخبار » لابن قتيبة ، في أربعة مجلدات ، ويحمل الرابع منها الفهارس النوعية . وطبعت ديوان ميمار الدبلي في أربعة مجلدات ، وديوان صردر ، وديوان نابنة بنى شيخان ، وديوان علم الدين أيدمر الحيوبي ، وديوان جران العمود البعري ، إلى غير ذلك مما أحيتها في عهدها الأخير على نفقتها وبمنابة رجالها . كما طبعت في خمسة مجلدات قاعة الكتب العربية المطبوعة والمخطوطة التي دخلت الدار وكانت طبعت طائفة من الكتب الجديدة ، منها « الطراز » لأمير المؤمنين يحيى بن حمزة العلوي اليمني في ثلاثة مجلدات ، و « الاعتصام » للشاطبي في ثلاثة مجلدات ، و « الاحكام » للآمدى في أربعة مجلدات وغير ذلك . جرى طبع هذه المكتبة باشرافها قبل أن تنشئ مطبعتها الفنية المتقنة ، وكانت طبعت في دور

آخر من أدوارها الماضية تاريخ مصر لابن إياس في ثلاثة مجلدات مع الفهارس ، و « التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية » لابن جيعان ، و « تاريخ الفيوم وبلادها » للنابلسي الصفدي ، و « الانتصار بواسطة عقد الأمصار » لابن دقاق وغيرها

هذا عمل دار الكتب اليوم وأمس ، ورأيت بعض الغيورين على العلم ينتقدون عليها بطأها في اخراج الكتب للناس ، وما عمل هذه الدار بما تنشر من الأسفار الممتعة إلا عمل علمي محض يراد منه إحياء ما قد يتعذر على الأفراد أحياءه من الأمهات العربية ، على غاية من العناية بالتصحيح ، مع معارضة النسخ المختلفة بعضها ببعض ، والتعليق على محال الاشكال من النسخ الأصلية الممتدة ، وشرح ما يجب شرحه من المشكلات اللغوية والأدبية والتاريخية والجغرافية وغيرها ، وهو عمل شاق لا يدرك مبلغ خطورته إلا من عاناه ؛ فقد يتوقف الناشر في صفحة بحيث يرض كلماتها ، أو طمست بعض سطورها أياماً كثيرة ويتقاضاه اثبات الرواية الصحيحة أوقاتاً ، لو كان له أن يصرقها كما يشاء لكتب رسالة مطولة في فن من الفنون . فإحياء كتاب من هذا الطراز ، فيه ما فيه من الغموض واللبس أصعب من تأليف كتاب ، ذلك لأن مصححه مقيد بالنص ومقيد بالرسم والخط ومقيد بالأمانة ، ليس له أن يبدل على هواه كلمة بكلمة ، ولو رأى ما ذهب إلى ذهنه أحق بالاتباع والاثبات . ولو كان عمل الدار تجارياً لأخرجت كل شهر بضعة مجلدات ، ولكن ماذا تكون قيمتها العلمية ؟

أما من يتبجحون بأن بعض منشورات الدار لا تخلو ، مع هذه العناية البالغة ، من أغلاط وتهاون ، لجوابنا لهم أن يتفضلوا وينشروا لنا رسالة صغيرة للقدماء ، في مثل هذه الصورة اللائقة التي تصدر بها مطبوعات دار الكتب ، وعندئذ يحكم العارفون لهم أو عليهم . والدعوى الطويلة العريضة في خلوة غير العمل السديد ، والنقد سهل والصعوبة في الإبداع

وأى خدمة أعظم من الخدمات التي تقوم بها دار الكتب المصرية الآداب العربية ، وكثير مما طبعته معملات أو انسيكوبيديات في الأدب والانشاء والعلوم . فالشكر للأستاذ المرئي محمد أسعد بك برادة مدير دار الكتب على عنايته بالدقيق والجليل في دوائه ، ولاخوانه ومعاونيه الأسانذة المحققون : السيد محمد البيلاوي ، وزكي العدوي ، والشيخ محمد عبد الرسول ، والشيخ أحمد الزين وغيرهم من الناظرين في الكتب . والشكر الكثير لمجلس دار الكتب الذي ما برح يقرر نشر كل مقيد من آثار السلف . محمد كرد علي